

إيكوميديا البرونتاريا

من الفضاء العمومي البرجوازي إلى الفضاء البروليتاري، فالفضاء البرونتاري

The Eco-media of the pronetariat From the bourgeois public space to the proletarian space then to the pronetarian space

آمال توهامي*

¹ جامعة قالمة (الجزائر)، touhami.amel@univ-guelma.dz

Touhami Amel

University of Guelma (Algeria)

تاريخ الاستلام: 2021/07/27 تاريخ القبول: 2022/03/09 تاريخ النشر: 2022/04/15

ملخص:

البرونتاريا هي تلك الطبقة من مستخدمي شبكة الانترنت القادرة على إنتاج محتويات رقمية وتوزيعها وتبادل الآراء حولها، والتي تشكلت معها بيئة اتصالية جديدة هي إيكوميديا البرونتاريا التي فتحت المجال واسعا لحرية التعبير وأصبحت متنفسا لممارسة النقد وتجسيد الديمقراطية، لتكون بذلك تجسيدا حقيقيا للفضاء العمومي الذي حدد معايير يورغن هابرماس في ستينات القرن الماضي. ولأن طبيعة الطبقة التي تتحكم في الفضاء العمومي وتسيره هي من يحدد شكله، يمكن القول أن هذا الفضاء انتقل عبر مراحل تاريخية من ذلك الفضاء البرجوازي الذي طرحه يورغن هابرماس والتي تتحكم فيه البرجوازية، إلى الفضاء البروليتاري الذي دافع عنه " أوسكار نيغت " و " ألكسندر كلوج " وتقوده البروليتاريا، إلى الفضاء البرونتاري الذي تصنع محتواه وتوجهه البرونتاريا التي تحدث عنها جويل دو روزناي.

الكلمات المفتاحية: البرونتاريا؛ إيكوميديا البرونتاريا؛ الفضاء العمومي؛ البرجوازية؛ البروليتاريا.

Abstract

The pronetariat is this class of Internet users capable of producing and distributing digital content, exchanging opinions about it. Thanks to it a new communication environment has been formed which is the Eco- media of the pronetariat; this last one has opened a wide field for the freedom of expression and became an outlet for the criticism and the incarnation of the democracy, it is thus that it could be a true incarnation of the public space that Jürgen Habermas defined his criteria in the sixties of the last century. And because that the nature of the class is controller and the director of the public space it determines its form, we can say that this space has gone through the historical stages of this bourgeois space proposed by Jürgen Habermas, which is controlled by the bourgeoisie, to the proletarian space which was defended by "Oskar Negt" and "Alexander Kluge" and led by the proletariat, to the pronetarian space whose content and direction are made by the pronetariat of which Joël de Rosnay spoke.

Keywords: Pronetariat; Eco- media of the pronetariat; public space; Bourgeoisie; Proletariat.

* المؤلف المرسل.

تعد مقاربة **يورغن هابرماس** حول الفضاء العمومي من أكثر المقاربات التي لاقَت اهتماما كبيرا من طرف الباحثين من مجالات مختلفة منذ ستينات القرن الماضي إلى يومنا هذا. وان كان الفضاء العمومي قد ارتبط حسب **هابرماس** بالبرجوازية التي أخذت من الساحات العمومية والمقاهي والصالونات الأدبية مجالا عاما لنقد السلطة الحاكمة وتوجيه الرأي العام من غالبية الشعب، فإن أنصار مقاربة الفضاء العمومي المعارض يرون بأنه من المححف أن يتم تجاهل فئات أخرى من عمال وطلبة ونساء وغيرهم من البروليتاريا التي كان لها دور بارز في تشكل هذا الفضاء الذي تحول حسبهم من الفضاء البرجوازي إلى الفضاء البروليتاري.

وان كان يبدو أن وسائل الإعلام التقليدي (الصحافة الورقية ومن بعدها الإذاعة والتلفزيون) قد شكلت فضاء عموميا خاطبت من خلاله الجماهير آخذة على عاتقها مهمة إمدادهم بالمعلومات والأخبار، وظلت على مر عقود من الزمن الوسيط بين الشعوب وحكوماتها تنقل قضاياهم وتحاول إيجاد حلول لمشكلاتهم، فكانت فاعلا رئيسيا في عملية تشكيل الرأي العام وتوجيهه ما أكسبها شأنًا عظيمًا إلى حد نعتها بالسلطة الرابعة؛ فإنها في الحقيقة ظلت لسنوات طويلة تتبع منهجا يقوم على النموذج الخطي الذي ينتقل من خلاله المحتوى الإعلامي من نقطة إلى نقطة في مسار محدد من القائم بالاتصال المسيطر على العملية الاتصالية حتى يصل إلى جمهور يتلقى الرسالة دون مشاركة إيجابية واضحة منه في اختيار مضمونها وإبداء الرأي حولها.

ويظهور شبكة الانترنت انتقل الاتصال من نموذج الخطي أحادي الاتجاه في وسائل الإعلام التقليدي إلى النموذج التفاعلي ثنائي الاتجاه من خلال أشكال جديدة للاتصال يجمعها مفهوم واحد هو الإعلام الجديد الذي خلق بيئة إعلامية جديدة اصطلح على تسميتها بال**إيكوميديا**؛ وهي بيئة جديدة من الأفكار والآراء والأخبار ووسائلها وطرق تداولها أنتجها تحول ووسائل الاتصال من التناظري إلى الرقمي ومن الهرمي إلى الشبكي وامتزج فيها الإعلام بالاتصال. (الزرن، 2012، صفحة 24)

لقد وسعت إيكوميديا الإعلام الجديد من هامش دور أفراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم وتعدد اهتماماتهم في العملية الاتصالية وأصبحوا يتحولون من خلالها بين موقعي الإرسال والاستقبال بشكل تفاعلي ليكونوا تارة منتجين للرسالة الإعلامية وطرفا فاعلا في صنعها وتارة أخرى مستقبلين لها في صورة تزامنية تُحطُّوا معها كل معيقات الاتصال السابقة، ولقد أطلق **جول دو روزناي Joël de Rosnay** على مستخدمي الانترنت -صناع المحتوى في إيكوميديا الإعلام الجديد- مصطلح **البرونتاريا**.

إننا أمام بيئة اتصالية جديدة هي **إيكوميديا البرونتاريا** التي أصبحت مجالا عاما للتعبير عن الرأي وتبادل الآراء والأفكار بحرية أكبر الأمر الذي عزز من مفهوم الديمقراطية كممارسة حقيقية، حيث أصبح الفرد البرونتاري في هاته البيئة يضطلع بدور هام في صناعة المحتوى الاتصالي حسب توجهاته وبما يخدم اهتماماته وانشغالاته. كما شكلت فضاء جماعيا للتعبير ونقل الأحداث وحتى صناعة الرأي العام وبديلا اتصاليا تفاعليا ينفرد بخصائص اتصالية تدفعنا لأن نقول بأننا أمام فضاء عمومي جديد هو **الفضاء البرونتاري**.

انطلاقا مما سبق، تأتي هاته الورقة البحثية لتكشف عن ماهية إيكوميديا البرونتاريا وذلك من حيث تعريفها وبحث خصائصها ودورها في تشكيل فضاء عمومي جديد هو الفضاء البرونتاري.

1- ماهية إيكوميديا البرونتاريا: نحاول من خلال هذا المبحث أن نتعرف على ماهية إيكوميديا البرونتاريا وذلك بتقديم تعريف لها بناء على تعريف *جويل دو روزناي* وعرض نشأتها وأهم خصائصها، ونوجز ذلك في ما يلي:

1-1- تعريف البرونتاريا: البرونتاريا مصطلح يقابله في اللغة الفرنسية **Pronétariat** وهي كلمة إغريقية مكونة من جزأين **pro** وتعني أمام (*devant*)، قبل (*avant*) وأيضا مناسب ل (*favorable à*) و **net** وتعني شبكة أو ما يعرف بالانترنت. والبرونتاريون (**Pronétaires**) هم مستخدمو الشبكة الرقمية القادرون على إنتاج ونشر محتويات رقمية وتوزيعها لعدد ضخم من زائري المواقع الإلكترونية على شبكة الانترنت. (Rosnay, 2006, p. 10)

وأول من استخدم المصطلح هو *جول دو روزناي* (*Joël de Rosnay*) في كتابه "ثورة البرونتاريا" *La révolte du pronétariat* مستوحيا ذلك من مصطلح (**prolétariat**) الذي يعني حسب كارل ماركس القوة العاملة، فالبرولتاريون (**prolétaires**) هم الطبقة العاملة في المجتمع الصناعي المعفاة من الضريبة والتي لا تملك أي سلعة ماعدا قوتها وطاقتها الفيزيائية للمشاركة في إنتاج الثروة. والبرولتاريون (**prolétaires**) كلمة مأخوذة من الكلمة اللاتينية **proletarius** التي تعني المواطن الفقير الذي يعيش في صراع طبقي مع الطبقة البرجوازية. ويرى *روزناي* بأن مجتمع المعلومات أدى إلى ظهور صراع طبقي من نوع آخر حيث تتمثل الطبقة الأولى في رأسماليو المعلومات (**infocapitalistes**) التي تمتلك وسائل الإعلام الجماهيرية من كبرى القنوات التلفزيونية والمحطات الإذاعية ودور النشر وشركات توزيع الموسيقى والأفلام وغيرها وتحتكرها وتفرض الرقابة عليها وتفتعل إحداث الندرة المعلوماتية بحجب المعلومات عن الجمهور المتلقي وتضييق سبل الوصول إليها. ويمثل هذا الجمهور الطبقة الثانية في الصراع، فبعد أن كان ينظر إليه على أنه مجرد مشاهد أو قارئ أو مستخدم سلبي، أصبح له دور متزايد في عملية إنتاج وتوزيع المعلومات في مجتمع معلوماتي ينتج فيه المحتوى بشكل رقمي تشاركي وتفاعلي مع إمكانية توزيعه على مستوى عالمي وبشكل لحظي وبالجمان وذلك من خلال شبكات جماعية يسير فيها الاتصال بشكل أفقي في عدة اتجاهات. (Rosnay, 2006, p. 11)

لقد سمحت الانترنت والتكنولوجيا الجديدة للإعلام والاتصال للبرونتاريين سواء أكانوا مهنيين أو هواة استخدام وسائل وأدوات مشابهة لتلك التي يستخدمها الصحفيون أو الإعلاميون المهنيون ويتنافسون مع رأسماليو المعلومات التقليديين في إنتاج المعلومات وتوزيعها بعد أن فقدوا الثقة في وسائل الإعلام الجماهيرية.

ويرى *روزناي* بأن البرونتاريا نقلت البيئة الإعلامية من مفهوم وسائل الإعلام الجماهيرية - التي تقدم محتوى إعلاميا يسير بشكل خطي وبصيغة هرمية حتى يصل إلى الجمهور - إلى مفهوم وسائل إعلام الجماهير التي عززت من دور الجمهور في العملية الاتصالية حيث أصبح مشاركا فاعلا أساسيا في صناعة المحتوى الاتصالي ينتج ويوزع معلومات ويستقبل ويتفاعل مع أخرى. (Rosnay, 2006, p. 12)

ومما سبق يمكن القول بأن: إيكوميديا البرونتاريا هي تلك البيئة الاتصالية التي يتشارك من خلالها مستخدمو الانترنت من كل شرائح المجتمع في إنتاج ونشر وتوزيع المعلومات بشكل أفقي وعلى مستوى عالمي دون أي قيود متجاوزين في ذلك حدود الزمان والمكان ومختلف معوقات الاتصال.

إن التعريف السابق يأخذنا إلى مفاهيم أخرى مشابهة من بينها صحافة المواطن والإعلام القاعدي والإعلام التشبيكي والإعلام ذو المصدر المفتوح والإعلام التعاوني وصحافة التطوع والصحافة الشعبية وصحافة الهواة وصحافة المجتمع المدني والإعلام العمومي وإعلام النحن (المعطي، 2015، صفحة 35) والصحافة البديلة والصحافة العامة وصحافة الجمهور (الزرن، 2012، صفحة 22) وغيرها من التسميات التي تعبر عن ظاهرة واحدة صاحبت تطور وانتشار الانترنت وهي تدخل المواطنين العاديين أو غير المهنيين أو الهواة في إنتاج ونشر الأخبار (Rebillard, 2012) بغرض تقديم معلومات دقيقة ومحايدة ومستقلة وموثوق بها تهم نطاقا جماهيريا واسعا وتستجيب لمتطلبات الديمقراطية (Pélissier et Chaudy, 2009, p. 89)، وذلك من خلال عدة أشكال كالمدونات والمنتديات والويكي ومواقع التواصل الاجتماعي، ويمكن لهذا المضمون أن يكون نصيا أو سمعيا أو بصريا أو متعدد الوسائط. (المعطي، 2015، صفحة 40)

2-1- النشأة والتطور: على الرغم من أن إيكوميديا البرونتاريا مرتبطة بتطور وانتشار الانترنت إلا أن خلفيتها التاريخية تعود إلى العصور القديمة حين كان الناس يجتمعون في الأماكن العامة لسماع خطب الحكام. ففي اليونان القديمة مثلا كان الأغورا مكانا عاما يجتمع فيه الناس مع الخطيب أو الحاكم لمناقشة وتبادل الآراء والقيام بالمفاوضات التجارية وكانت تمنح الفرصة لكل شخص بأخذ الكلمة وإبداء رأيه بعد رفع اليد. وكانت مثل هذه الطرق عبارة عن اتصال جماهيري مصغر يتسم بالتزامنية من خلال التواجد في نفس المكان والزمان. (Rosnay, 2006, p. 29)

وبعد ظهور الطباعة في القرن الخامس عشر وانتشار الصحافة المطبوعة أصبح للجماهير القدرة على الحصول على المعلومة من دون التجمع في نفس المكان. وعلى عكس الأغورا، لا يسمح الاتصال عبر الصحف للأفراد التعبير عن آرائهم والمشاركة في العملية الاتصالية والحصول على رجح الصدى، حيث كان يسير هذا الشكل الاتصالي في شكل خط من مصدر إلى متلقين وبشكل هرمي من أعلى إلى أسفل. وبظهور الراديو أتيح للفرد الفرصة لأن يتكلم ويُسمع على المباشر. ليحدث ظهور التلفزيون نقلة نوعية في اتصال الجماهير حيث انتقل به إلى الصفة العالمية من خلال ما يعرف بالرأي العام حيث أصبح المشاهد يستطيع مشاركة غيره أحاسيسه وأفكاره في نفس اللحظة بالصورة والصوت لتصل على المباشر إلى العالم أجمع. (Rosnay, 2006, p. 30)

ومع انتشار الانترنت في منتصف التسعينات أصبح للفرد العادي في المجتمع القدرة ليس على استقبال الأخبار فقط وإنما على إنتاجها ونقلها وتوزيعها على نطاق واسع مبدئا من خلالها آراءه وناقلا أفكاره واتجاهاته (Rosnay, 2006, p. 31)، ومعها ظهرت أولى ملامح البرونتاريا التي يعود بروزها الحقيقي إلى الصحفي الكوري جنوبي **Oh Yeon-Ho** الذي أنشأ سنة 2000 موقع **Oh My News** وفتح من خلاله المجال لآلاف المستخدمين لشبكة الانترنت بنشر مقالاتهم الخاصة إضافة إلى الخدمات المقدمة من طرف فريق العمل من الصحفيين المهنيين القائمين على الموقع. ولاقى الموقع صدى كبيرا وحقق أكبر نجاحاته بعد أن قدم الرئيس الجديد المنتخب لكوريا الجنوبية **Roh Moo-hyun** أول خطاب له عبر هذا الموقع (Rebillard, 2012). وقد كان شعار هذا الموقع كل مواطن هو مراسل صحفي (**Every citizen is a reporter**). (Pélissier et Chaudy, 2009, p. 90)

كما تجدر الإشارة إلى أن إيكوميديا البرونتاريا تطورت من خلال المدونات كشكل اتصالي سمح بالنشر الذاتي وكان ذلك في سنوات التسعينات والذي برز بقوة مع هجمات 11 سبتمبر 2001 أين استخدمت المدونات كفضاء لنشر الأخبار والمعلومات المكتملة أو حتى المناقضة لما تبثه وسائل الإعلام المخترفة. كما سمحت المدونات للجنود الأمريكيين بنشر رواياتهم الخاصة في الحرب الأمريكية ضد العراق سنة 2003 خاصة ما تناقض منها مع ما ينشر في وسائل الإعلام المهيمنة آنذاك. لتكون بذلك إيكوميديا البرونتاريا مشروعاً لبناء فضاء لإعلام بديل أو حتى فضاء لإعلام مضاد للإعلام الرسمي. (Rebillard, 2012)

وفي نفس السياق وفي سنة 2004 نشر الباحث الأمريكي دان غليمور (Dan Glimor) كتابه نحن وسائل الإعلام **We the Media**... الصحافة الشعبية من الشعب وإلى الشعب منتقداً من خلاله وسائل الإعلام التقليدية وموضحاً كيف أصبح مستخدمو الانترنت خاصة المدونون جزءاً من السلطة في الفضاء الإعلامي. وكان الكتاب دعوة حقيقية لإعلام حر مستديماً في عنوانه أول مصطلحات الدستور الأمريكي وخطاب براك أوباما الذي قدمه في 04 نوفمبر 2008 في شيكاغو بعد انتخابه رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية: حكومة شعبية بالشعب وإلى الشعب. ولاقى الكتاب صدى كبيراً ليتبع غليمور ذلك بإنشاء الموقع التشاركي **Bayosphere** في 2005 الذي لاقى هو الآخر صدى كبيراً وسط الشعب ووسائل الإعلام التقليدية قبل أن يتوقف بعد ذلك لعدم وجود نموذج اقتصادي لتسييره. (Pélissier et Chaudy, 2009, p. 90)

وفي سنة 2006 قدم **جول دو روزناي** مؤلفه ثورة البرونيتاريا **La révolte du pronétariat** الذي كان له دور كبير في ترسيخ مفهوم البرونتاريا. ولاقى هذا الكتاب هو الآخر صدى كبيراً، وبين الباحث من خلاله الدور الكبير الذي أصبح يضطلع به مستخدمو الانترنت "البرونيتاريون" في العملية الاتصالية من خلال إنتاج وتوزيع المعلومات وكيف تم الانتقال من وسائل الإعلام الجماهيرية إلى وسائل إعلام الجماهير (Rebillard, 2012). وتجدر الإشارة إلى أن البرونتاريا تمثلت في بداياتها في الطبقة المثقفة في المجتمع من الطلبة الجامعيين والصحفيين الأحرار والسياسيين (Rebillard, 2012) لتشمل اليوم جميع مستخدمي الانترنت من مختلف شرائح المجتمع ممن يستهلكون وينتجون المعلومة في نفس الوقت.

1-3- خصائص إيكوميديا البرونتاريا: لقد أحدثت البرونتاريا انقلاباً في نموذج الاتصال التقليدي، الذي كان يقوم على مركزية البث ويسير بشكل هرمي من أعلى إلى أسفل، حيث سمحت للفرد العادي بإيصال رسالته إلى من يريد في الوقت الذي يريد وبالشكل الذي يريد وإلى عدة اتجاهات (المعطي، 2015، صفحة 43)، لتخلق بذلك البرونتاريا بيئة اتصالية جديدة يتحول فيها الفرد باستمرار ما بين موقعي الإرسال والتلقي وتمثل فيها المنصة الإلكترونية فضاءً جماعياً أكثر انفتاحاً يشترك المستخدمون في إنتاج مضمونه بإنتاج المعلومة ونشرها ومناقشتها والتشاور وإبداء الرأي حولها (الموسوي، 2011، صفحة 24). هذا فضلاً عن إتاحتها إمكانية التحديث المستمر للمعلومات وسرعة الوصول إليها وأرشفتها وشموليتها ووفرتها... ولقد صاحب ذلك تحولات ملحوظة في مكونات العملية الاتصالية التقليدية حيث أعلنت من شأن بعض المكونات التي كانت هامشية في البيئة الاتصالية للإعلام التقليدي، ونلخص ذلك فيما يلي:

أولاً: على صعيد المرسل، لم يعد الأمر يقتصر على مرسل فرد يمتلك مهارات إعداد الرسالة الإعلامية لجمهور كبير، فقد أصبح لكل فرد يتصفح الانترنت القدرة على أن يشكل رسالة اتصالية ويثبها في الحال عبر الشبكة، وبإمكانه أن يكون صحفياً ويراسل صحيفة إلكترونية أو محطة إذاعية في موقع على الانترنت أو ينشر صحيفة على الويب (خلف، 2014، صفحة 31) وتنوعت بذلك جهة الإرسال وتعددت، حيث سمحت ايكوميديا البرونتاريا للجميع في أن يتصل سواء كانوا صحفيين أو غير صحفيين سواء كانوا أفراداً مستقلين أو مؤسسات ومنظمات دولية أو أحزاب... (الغامدي، 2014، صفحة 10). وأصبح البرونتاري يملك كل ما تملكه المؤسسات الصحفية من أدوات عبر شبكة الانترنت يستطيع أن ينسخ ويحمل المضامين على اختلاف أشكالها ويوزعها إلى مستخدمين آخرين في مختلف أنحاء العالم، كما يملك قسم للتصوير والتسجيل الصوتي سواء بأجهزة تقنية عالية أو من خلال الهاتف المحمول الذكي (الغامدي، 2014، صفحة 11).

ثانياً: تغير شكل الرسالة وصناعتها ومضمونها في ايكوميديا البرونتاريا، حيث خضعت لتغيرات جوهرية نظراً لاعتمادها على الوسائط المتعددة (المطبوع "المسموع" المرئي) التي اندمجت في شاشة الحاسوب، بشكل يمكن من إرسال واستقبال الرسالة بالنص والصوت والصورة. هذا فضلاً عن إمكانية ربط المضمون مع مواقع أخرى على الانترنت عن طريق الارتباط التشعبي (خلف، 2014، صفحة 32).

ثالثاً: المتلقي، أصبحت له القدرة على المشاركة الفعالة في العملية الاتصالية، إذ أصبح الجمهور يسعى للحصول على المعلومات واختيار المناسب منها، وتبادل الرسائل مع المرسل، بعدما كان دوره هو مجرد تلقي المعلومات فقط، وأصبح التمييز بين المرسل والمتلقي في ظل استخدام وسائل الاتصال التفاعلية أمراً صعباً، فالمرسل أصبح متلقياً والمتلقي أصبح مرسلًا (الموسوي، 2011، صفحة 25)، فبمقدور المتلقي إن يكون بمثابة المشارك في صناعة الرسالة الاتصالية وليس مجرد متلق لها، فعن طريق رقم عضوية في شبكة المعلومات أو في الوسيلة الاتصالية وباستخدام جهاز حاسوب آلي شخصي وطرفيات اتصال كالمودم وخط تلفوني، يكن للمشارك الاطلاع على ما يرغبه من معلومات ومواد تحريرية ونصوص وإبداء الرأي فيها بالحوار والمناقشة وإبداء رأيه ووجهة نظره (خلف، 2014، صفحة 32).

رابعاً: التغير الأكثر وضوحاً في مكونات عمليات الاتصال يختص بالوسيلة ففي وسائل الإعلام التقليدية، تركز كل وسيلة على مخاطبة حاسة واحدة في الغالب وربما حاستين لدى الإنسان. فإن كانت الصحافة الورقية تخاطب حاسة البصر والراديو يخاطب حاسة السمع والتلفزيون يخاطب حاستي البصر والسمع، فإن الانترنت تخاطب الحواس الإنسانية الثلاثة والمدركات العقلية لمستقبل الرسالة وذلك عبر ما يسمى بالوسائط المتعددة (Multimedia) التي تفرض أنماطاً من الانفعال والاستيعاب والسلوكيات والاستجابات المتباينة. وتعني أن ما ينقل عبر الانترنت لا يقتصر على النصوص المكتوبة أو السمعية أو السمعية البصرية فقط وإنما يشمل إلى جانب النصوص الصوت والصور والرسوم المتحركة ولقطات الفيديو والخيال والأفلام. وبذلك فإن قدرة الانترنت على مخاطبة الحواس البشرية تفوق قدرة أي وسيلة أخرى. فقد أحدثت الانترنت من بين سائر التقنيات المعاصرة تغيراً جوهرياً في بنية الاتصال. وللمرة الأولى منذ عرف الإنسان وسائل الإعلام تضيع الحدود الفاصلة بينها وتصبح التقنية قادرة على جمع الصورة والصوت والمادة المكتوبة في منتج واحد وعبر تكوين تقني واحد (خلف، 2014، صفحة 33).

خامسا: بالنسبة لرجع الصدى، فقد أصبح البروننتاري يزاوج بين التلقي والإرسال أي انه متلق ومرسل في الوقت ذاته، وبهذا أعطت إيكوميديا البروننتاريا بعدا جديدا لعملية رجع الصدى الذي كان شبه غائب أو بطيء جدا في وسائل الاتصال الجماهيرية التقليدية، وأصبح الاتصال بين طرفي العملية الاتصالية يتسم بالفورية والمباشرة ويقترّب من نظيره الشخصي، ويطلق علماء الاتصال على هذه الخاصية اسم التفاعلية التي تعد من أهم سمات الاتصال عبر لانتترنت بمختلف مسمياته (المزاهرة، 2014، صفحة 303).

2- إيكوميديا البروننتاريا ومثالية هابرماس حول الفضاء العمومي: الفضاء العمومي هو تلك المساحة الاجتماعية التي تتم فيها مناقشة القضايا العامة وتبادل الآراء حولها وانتقاد السلطة الحاكمة ومعارضة النظم السياسية دون خوف (البدوي، 2015، صفحة 02). وعلى الرغم من أن فكرة الفضاء العمومي تعود إلى الفلسفة اليونانية مع سقراط على وجه الخصوص، حيث جسدت الحوارية السقراطية في الأسواق والساحات العمومية نموذجا للفضاء العمومي الذي حاول من خلاله سقراط أن يعلم الشعب الحكمة ويزرع في أوساطه الفضيلة، وعلى الرغم من أنها ظهرت كنتويج للفكر التنويري وبشكل خاص مع *ايمانويل كانط* الذي دعا إلى تحرير العقل للتساؤل والبحث والنقاش، إلا أن مفهوم الفضاء العمومي لم يطرح بشكل أعمق إلا في بداية الستينات مع *يورغن هابرماس* (عيادي، 2020، صفحة 80) الذي يعرفه على انه ميدان يجتمع فيه المواطنون لتبادل الآراء ومناقشة ونقد القضايا السياسية حيث يمثل هذا المجال الوسيط بين المجتمع المدني والدولة (حسن، 2012، صفحة 194).

ويرى "*اوسكار نيغت*" في نقده للفضاء العمومي الذي قدمه *يورغن هابرماس* أن "الأشكال التاريخية للفضاء العمومي تتغير، لذلك لا يمكن الحديث عن شكل واحد للفضاء العمومي، بل عن أشكال مختلفة تحمل معها في كل حقبة تاريخية بوادر جديدة تعبر عن تنمية ديمقراطية لطبيعة تلك الحقبة (العلوي، 2016). ولهذا نرى بان طبيعة الطبقة التي تتحكم في الفضاء العمومي هي من تحدد طبيعته حيث انتقل عبر مراحل تاريخية من ذلك الفضاء البرجوازي الذي طرحه *يورغن هابرماس* والتي تتحكم فيه البرجوازية إلى الفضاء البروليتاري الذي دافع عنه "*اوسكار نيغت*" و"*الكسندر كلوج*" وتقوده البروليتاريا إلى الفضاء البروننتاري الذي تصنع محتواه وتوجهه البروننتاريا التي تحدث عنها *جويل دو روزنباي*.

2-1- الفضاء العمومي البرجوازي: يرى *هابرماس* انه في ظل تنامي الوعي الجماهيري الغربي الذي تشكل تاريخيا عبر وسائل تستخدمها الدولة ومؤسساتها البيروقراطية للسيطرة على الرأي العام وتوجيهه بالشكل الذي ينسجم مع أغراضها، ظهرت حاجة البرجوازية من الأفراد المتعلمين والقادرين على التفكير لفضاء عام تقوم من خلاله بتوجيه المواطن العادي وتحديد ضمن الأطر الرسمية التي تحددها مبادئها (عيادي، 2020، صفحة 79). ليتشكل بذلك الفضاء العمومي البرجوازي كمحيط عام تتحكم فيه الأقلية المثقفة وتقوم من خلاله بمهمة الرقيب على السلطة الحاكمة ومشاريعها ومساءلتها من خلال الدعاية على اعتبار ان هذا الفضاء هو فضاء لمناقشة القضايا ذات الاهتمام المشترك وان الطبقة البرجوازية هي الوسيط بين المجتمع والدولة (Lits, 2014, p. 77)

وحسب *هابرماس* فقد كانت البدايات الأولى لتشكيل الفضاء العمومي في نهاية القرن السابع عشر في إنجلترا والقرن الثامن عشر في فرنسا، حين اكتسبت الطبقة البرجوازية وعيا بنفسها وشرعت بتكوين استقلال خاص بها تجاه السلطة وذلك عن طريق تأسيس قواعد ومبادئ لخلق حوار ومناقشات حرة وعادلة، وعندما انبثق مبدأ

الحوار المفتوح بدأ الفضاء البرجوازي العام بالتمركز أولاً داخل الصالونات ثم المقاهي والمنتديات الثقافية العامة حتى عبر عن نفسه وتموضع في النهاية داخل صيغة الدولة الدستورية تحت ظل وغطاء الحوارات الانتخابية والبرلمانية (مخشان، 2014)

2-2- الفضاء العمومي البروليتاري: لقد قدم "أوسكار نيغت" و"الكسندر كلوج" مفهوم الفضاء العمومي البروليتاري في أوائل السبعينيات من القرن الماضي. وهو مفهوم أرادوا من خلاله تجاوز مفهوم "هابروماس" وتصوره للفضاء العمومي البرجوازي ونموذجه المثالي. وذلك من منطلق أن البرجوازية لم تكن وحدها من ساهم في نشأة الفضاء العمومي خاصة في واقع أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، بل إن هناك طبقة اجتماعية أخرى وهي الطبقة العاملة التي بدونها لا يمكن أن توجد البرجوازية، إلى جانب فئات اجتماعية أخرى من قبيل الطلاب، الشباب الأجير، النساء، الأجراء... (العلوي، 2016)

لقد حاول الباحثان أن يلفتا الانتباه إلى مجموع الديناميات الاجتماعية والسياسية التي تركت بصمات حقيقية في تاريخ أوروبا، ولعل أهمها المجالس العمالية خلال الثورة الألمانية سنة 1918 التي جمعت مختلف الحركات الاجتماعية. والحركة الطلابية في فرنسا في ماي 1968 التي لعبت الدور الأبرز في ظهور فضاء سياسي عمومي مهّد لديمقراطية فرنسية جديدة مغايرة تماماً لديمقراطية القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. فحسب "نيغت وكلوج" الفضاء العمومي البروليتاري لا يلغي الانتماء الطبقي، وإنما يقصد به الفضاء المعارض حيث تتشكل الآراء والمواقف السياسية لسلطة مضادة للسلطة السائدة أو المهيمنة. (العلوي، 2016)

2-3- الفضاء العمومي البرونتاري: يتميز المجال العام بثلاثة مظاهر أساسية: أولها أن المشاركة فيه مفتوحة، وثانيها أنه يساوي بين مواقع وأدوار الأطراف المشاركة فيه بصرف النظر عن أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية وثالثها أن أية قضية فيه تكون قابلة للنقاش (المعطي، 2015، صفحة 144). ويتجسد النشاط التواصلي في الفضاء العمومي الهابروماسي في حوار يدور بين ذوات فاعلة ومختلفة ونقاش مؤسس على ضوابط حيث تتكافأ فيه الفرص بين المشاركين في الحوار، فلكل فرد المقدرة على الفعل والحوار والكلام والحق في أن يشارك في التجربة التواصلية ولكل واحد منهم الحق في الدفاع والاعتراض والسؤال والنقد، ولا تمارس أي سلطة على الحوار إلا سلطة العقل. وبالتالي يتحرر الفضاء العمومي من كل ألوان التسلط والمهيمنة التي يمكن أن يتعرض لها (مقورة، 2021، الصفحات 360-361). فالنشاط التواصلي أو العملية التواصلية لا بد لها من ديمقراطية الحوار حيث يتاح لكل مشارك في التواصل الفرصة في الدفاع عن رأيه دون سيطرة سلطة ما وذلك بهدف الوصول إلى اتفاق بين الذوات المشاركة في التفاعل. (حسن، 2012، صفحة 150)

إن المظاهر الأساسية للفضاء العمومي السالفة الذكر تجعلنا نقول بأن إيكوميديا البرونتاريا بكل ما تحمله من خصائص هي تجسيد حقيقي لفضاء هابروماس وذلك لما سمحت به للمواطنين من قدرة على مناقشة قضايا الشأن العام ومن حرية للتعبير عن الآراء والأفكار ومن سهولة للوصول إلى المعلومات وإنتاجها ونشرها وتوزيعها. حيث أصبحت المدونات وشبكات التواصل الاجتماعي والمنتديات وغيرها من أشكال إيكوميديا البرونتاريا فضاء مفتوحاً يتساوى فيه جميع شرائح المجتمع على اختلاف توجهاتهم ومستوياتهم في المشاركة في الحوار والتفاعل ومناقشة أية قضية مهما كان طابعها.

وفي ظل تراجع دور وسائل الإعلام التقليدية في المشاركة في المجال العام في المجتمع على نطاق تمكين المواطنين من تشكيل آرائهم، دعمت الانترنت فكرة ساحات النقاش حول المجال العام المشترك من خلال إيكوميديا البروننتاريا التي منحت إمكانية التفاعل بين الناس حول القضايا التي يهتمون بها من خلال التفاعلية التي تتميز به المنظومة الاتصالية لهذا النمط الاتصالي الجديد الذي يسير بشكل أفقي وفي اتجاهات متعددة (المعطي، 2015، صفحة 147) مقارنة بالبيئة الاتصالية التقليدية التي عزلت الجمهور وجعلته متلقيا سلبيا لرسائل يسيطر عليها الصحفي القائم بالاتصال على العملية الاتصالية في مختلف مستوياتها.

وان كان *هابرماس* يؤكد على أن النموذج المرغوب فيه للديمقراطية هو ذلك النموذج الذي يمكن كل المواطنين من التعبير عن أفكارهم وانتماءاتهم الثقافية والعرفية ويسمح لهم بالفهم على اقتراحات مقبولة من الجميع، وان هذا النموذج لا يمكن له ان يتأسس الا إذا ارتبط بالمناقشات العمومية (حسن، 2012، صفحة 189)، فانه يمكننا القول ان إيكوميديا البروننتاريا عززت الديمقراطية بشكل كبير حيث اتاحت للجميع التعبير عن آرائهم بغض النظر عن معتقداتهم وانتماءاتهم العرقية والأيدولوجية، بل ان البروننتاريين كما يرى *روزنامي* خلقوا شكلا جديدا لهذه الديمقراطية التي لا تقتصر فقط على الديمقراطية الإلكترونية من خلال فتح المجال للمواطن للانتخاب عن بعد عن طريق الانترنت، وإنما ديمقراطية حقيقية للاتصال أحدثت تغييرات جذرية في علاقة المواطن بالسياسيين ووسائل الإعلام التقليدية وأثرت بشكل واضح على المجالات الحيوية في المجتمعات السياسية والاجتماعية والثقافية (Rosnay, 2006, p. 09)

ففي الوقت الذي تعاني فيه البيئة الإعلامية التقليدية من الرقابة الحكومية وضوابط وأخلاقيات المهنة والمجتمع وحاجاتها التمويلية التي تحد من حريتها وتُفعل من دور حراس البوابة للتحكم في المضمون الإعلامي وفي ظل وقوفها عاجزة أمام حرية جمهورها بمنحه مساحة للتعبير، فتحت إيكوميديا البروننتاريا المجال واسعا لحرية التعبير والرأي وساعدت الأفراد والجماعات المهمشة على تجاوز المؤسسات الرسمية في التعبير عن مطالبها وانشغالها واهتماماتها (المعطي، 2015، صفحة 149) وأصبحت متنفسا لممارسة النقد يستفيد منه المواطنون على اختلاف مستوياتهم وحركات المعارضة بشكلها الرسمي وغير الرسمي لنشر أفكارهم والتعبير عن توجهاتهم والتأثير في الرأي العام (هميسي، 2015، صفحة 04).

لقد أصبحت إيكوميديا البروننتاريا فضاء عموميا مكن الجماهير من أن تقول كلمتها، حيث وجدت الأصوات المعارضة والمتحررة للمواطنين ضالتها في إيكوميديا البروننتاريا كي — تُقرأ أو تُسمع أو تُشاهد — ومن ثم تدون تعليقات الفرد حولها سواء بالنقد أو التأييد أو المعارضة والرفض أو التزام الحياد؛ وساهمت في تحقيق تغيير ملموس في حضور النخب الناشئة في المجالات السياسية والاقتصادية في المجتمع لطرح أفكارها الحبيسة التي لم تجد منفذا لها للنشر في وسائل الإعلام التقليدي؛ وأصبحت تقدم الحقيقة للأحداث من دون تحيز لأي طرف من أطراف الخبر وتتيح الوصول إلى المعلومات وتغطية ما يتم رؤيته بحرية وبشفافية أكثر حيث تتعدى فيها الرؤى والتصورات والأفكار والتوجهات. (اللبان، 2014، صفحة 116).

خاتمة

تناولنا في هذه الورقية البحثية ماهية إيكوميديا البرونتاريا التي فرضت نفسها كمنظمت اتصالي جديد يعرف تناميا متسارعا من حيث إقبال الجماهير عليه. إلى حد أنها أصبحت تجسيدا حقيقيا للفضاء العمومي الذي طرح معاييره **هابرماس** في الستينات من القرن الماضي، وقد توصلنا إلى جملة من النتائج مفادها:

- لقد فتحت الانترنت المجال واسعا أمام مستخدميها على اختلاف فئاتهم وشرائحهم ليكونوا طرفا فاعلا في العملية الاتصالية وأطلق **جويل دو روزنباي** على هؤلاء مصطلح البرونتاريا وقد شكلت هذه الطبقة بأفكارها والمحتويات التي يقدمها أفرادها عبر هذه الوسيلة بيئة اتصالية جديدة هي إيكوميديا البرونتاريا.
- سمحت إيكوميديا البرونتاريا للفرد العادي لأن يكون له دور محوري في عملية إنتاج وتوزيع المعلومات في مجتمع معلوماتي ينتج فيه المحتوى بشكل رقمي تشاركي وتفاعلي من خلال شبكات جماعية يسير فيها الاتصال بشكل أفقي في عدة اتجاهات، في الوقت الذي كان ينظر إلى هذا الفرد على أنه مجرد مستقبل سلبي لمضمون وسائل الإعلام التقليدي التي ظلت لسنوات طويلة تتبع منهاجا يقوم على النموذج الخطي الهرمي وعلى مركزية الإرسال حيث تنتقل الرسالة الإعلامية من أعلى إلى أسفل ومن نقطة إلى نقطة في مسار محدد حتى تصل إلى الجمهور مع سيطرة القائم بالاتصال على العملية الاتصالية.

- تعد إيكوميديا البرونتاريا بكل ما تحمله من خصائص تجسيدا حقيقيا لفضاء **هابرماس** حيث أصبحت فضاء عاما لجميع المواطنين على اختلاف توجهاتهم واهتماماتهم ومستوياتهم لمناقشة قضايا الشأن العام والحوار والتفاعل والتعبير عن الآراء والأفكار والوصول إلى المعلومات وإنتاجها ونشرها وتوزيعها، وفتحت المجال واسعا لحرية التعبير والرأي وأصبحت متنفسا لممارسة النقد وتجسيد الديمقراطية ونقل انشغالات أفراد المجتمع.

- لقد تغيرت الأشكال التاريخية للفضاء العمومي إذ لا يمكن الحديث عن شكل واحد للفضاء العمومي، بل عن أشكال مختلفة تحمل معها في كل حقبة تاريخية بؤاد جديدة تعبر عن تنمية ديمقراطية لطبيعة تلك الحقبة. ويتحدد شكل الفضاء العمومي تبعا لطبيعة الطبقة التي تتحكم فيه، لذلك يمكن القول انه انتقل عبر مراحل تاريخية من ذلك الفضاء البرجوازي الذي طرحه "يورغن هابرماس" والتي تتحكم فيه البرجوازية، إلى الفضاء البروليتاري الذي دافع عنه "أوسكار نيغت" و"الكسندر كلوج" وتقوده البروليتاريا، إلى الفضاء البرونتاري الذي تصنع محتواه وتوجهه البرونتاريا التي تحدث عنها "جويل دو روزنباي".

قائمة المراجع

ابو النور حمدي ابو النور حسن. (2012). *يورجين هابرماس/ الاخلاق والتواصل*. بيروت - لبنان: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.

ثريا أحمد البدوي. (2015). *المعالجة النظرية والمنهجية لمشاركة المستخدم في المجال العام الرقمي دراسة تحليلية نقدية للاتجاهات العلمية الحديثة*. القاهرة: كلية الاعلام، جامعة القاهرة.

جلول مقورة. (جانفي، 2021). *الفعل التواصلي عند هابرماس نظرية وتطبيق*. المعيار، الصفحات 355-381.

جيليلة عبد الله خلف. (2014). *الوظيفة الإخبارية للبوابات الإلكترونية دراسة تحليلية للبوابات الإلكترونية العربية (نسيج - محيط - البوابة)*، ط 01. العين، الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي.

جمال الزرن. (2012). البيئة الجديدة للاتصال أو الإيكوميديا عن طريق صحافة المواطن". مجلة الباحث الإعلامي (17)، الصفحات 20-38.

خالد مخشان. (10, 06, 2014). الفضاء العمومي عند هابرماس. تاريخ الاسترداد 01 22, 2021، من الحوار المتمدن: <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=418856>

رشيد العلوي. (31, 10, 2016). الفضاء العمومي من هابرماس إلى نانسي فريزر. تاريخ الاسترداد 02 15, 2021، من شبكة مؤمنون بلا حدود: <https://www.mominoun.com/articles>

رضا هميسي. (2015). الإعلام الجديد بين حرية التعبير وحماية الأمن الوطني - دراسة قانونية - الندوة العلمية حول الهجرة غير الشرعية: الأبعاد الأمنية والإنسانية.

شريف درويش اللبان. (31, 07, 2014). الضوابط المهنية والأخلاقية والقانونية للإعلام الجديد. مجلة رؤى استراتيجية، الصفحات 96 - 135 .

عبد المالك عيادي. (2020). الفضاء العمومي والمطلب الاستراتيجي. أفكار وافاق، الصفحات 75-96.

قينا عبد الله الغامدي. (2014). التوافق والتناظر بين الإعلام التقليدي والإعلام الإلكتروني. ندوة الإعلام والأمن الإلكتروني. المملكة العربية السعودية: جامعة الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية.

منال هلال المزاهرة. (2014). تكنولوجيا الاتصال والمعلومات. عمان، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة. موسى جواد واخرون الموسوي. (2011). الإعلام الجديد: تطور الأداء والوسيلة والوظيفة. بغداد: جامعة بغداد، سلسلة مكتبة الإعلام والمجتمع.

نما السيد عبد المعطي. (2015). صحافة المواطن نحو نمط اتصالي جديد. دولة الإمارات العربية المتحدة - الجمهورية اللبنانية: دار الكتاب الجامعي - ط 01.

Lits, Marc. (2014, 03). L'espace public: Concept fondateur de la communication. Hermès, La Revue, n° 70, pp. 77-81.

Pélissier Nicolas, Chaudy Serge. (2009, 10, 05). Le journalisme participatif et citoyen sur internet : un populisme dans l'air du temps? revue *Quaderni - communication, technologie, pouvoir* -, pp. 89-102.

Rebillard, Franck. (2012, octobre). *Le journalisme participatif : définition, évolution, états des lieux*. Consulté le 11, 03, 2020, sur <http://www.ina-expert.com/e-dossier-de-l-audiovisuel-journalisme-internet-libertes/le-journalisme-participatif-definition-évolutions-etat-de>

Rosnay, J. d. (2006). *La révolte du pronétariat- des mass média aux média des masses*. paris: Librairie Arthème Fayard.